

محور بحوث العلوم الإسلامية



اللحن في الوقف وأثره في تغيير معاني القرآن

بقلم

محمد الصالح ستي* - د. عبد الرحمان معاشي**



ملخص

يُعرّف اللحن بأنه الإخلال والخطأ في تلاوة ألفاظ القرآن الكريم، وهو على قسمين: جلي وخفي، أما الوقف فهو قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمناً يُتنفس فيه عادة، مع قصد الرجوع إلى القراءة.

وقد عد علماء التجويد الخطأ في الوقف من قبيل اللحن الجلي، إذا ما أدى إلى إبهام معنى كلام الله تعالى أو إفساده، وهذا ما يصطلح عليه بالوقف القبيح، وهو على قسمين:
1- ما لا يفهم المراد منه لتعلقه اللفظي بما قبله: كالفصل بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره.

2- ما يُفسي إلى معنى فاسدٍ أو مستقبحٍ لتعلقه المعنوي بما قبله: وأشنع ما مس بقدسيّة الله عز وجل وصفاته، أو أخلّ بعقيدة المؤمن.
الكلمات المفتاحية: اللحن، الوقف، تلاوة، قرآن، جلي، خفي.

* طالب سنة ثانية دكتوراه بجامعة الأمير للعلوم الإسلامية بقسنطينة، تخصص التفسير وعلوم القرآن.

taleb.se@gmail.com

** أستاذ محاضر (أ) بجامعة الأمير للعلوم الإسلامية بقسنطينة. maachiabdou@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/05/20 - تاريخ القبول: 2018/10/31 - تاريخ النشر: جويلية 2020

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه منابر الهدى ومصابيح الدجى، ومن استنّ بسنتهم وسار على نهجهم واقتفى، وبعد: فقد أكرم الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وخص أمته بأعظم آية وأسمى بينة، كتاب كريم، ووحى مبين، فيه نبأ الأولين وخبر الآخرين، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والسراج المنير.

رفع الله مقامه وأعلى شأنه، فحفظه من التحريف، وصانه من التصحيف، فقال في محكم تنزيله: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 09)، وأمر عباده أن يرتلوه فقال: "وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا" (المزمل 03)، وامتدح عباده الذين يتلوه حق تلاوته، فقال: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ" (البقرة 121)، وجعل مقام الخيرية والفلاح لمن تعلّمه وعلمه، فانبرى لهذا المقام القراء، وتسابق لهذا الأجر الفضلاء، وبدلوا النفس والنفس في الذبّ عن كتاب الله تعالى، يحفظون آياته، ويعلمون تلاوته، وينفون عنه اللحن، ويقومون النطق به والألسن، ووضعوا لترتيل كتاب الله قواعد تجويدية، ونهّوها على الأخطاء الجليلة والخفية، ومن هنا كان لزاما على من رام تلاوة كتاب الله حق تلاوته، أن يتعلّم قواعد الترتيل فيتقنها، وأن يتعرّف على مواضع اللحن وأسبابه فيجتنبها، فيجمع بذلك بين الخيرين، وينال بفضل الله الأجرين.

وإن كان المطلوب الأول؛ أي قواعد الترتيل، قد كثر فيه التأليف، وتعدّد فيه التصنيف، فإن المطلوب الثاني؛ أي معرفة مواضع اللحن وأسبابه، خاصة ما تعلق منه بباب الوقف، لا يزال بحاجة إلى كثير من العناية والبسط، ومنه يمكن طرح الإشكالية الآتية: ما مواضع اللحن في الوقف وأثر ذلك في تغيير المعنى؟

وسنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية باتباع الخطة الآتية:

تمهيد: نعرف فيه كلا من اللحن والوقف.

المطلب الأول: نذكر فيه أهمية الوقف في فهم معاني القرآن ومعرفة مقاصده.

المطلب الثاني: نتطرق فيه لأنواع الوقف القبيح الذي يعد من باب اللحن الواجب تجنبه.

المطلب الثالث: نتقف فيه وقفة موجزة مع الوقف الهبطي ما له وما عليه، كونه الوقف المعتمد في مصاحف المغاربة.

الخاتمة: نذكر فيها أهم نتائج البحث.

تمهيد: سنخصص هذا التمهيد لتعريف كل من اللحن والوقف

أولاً: تعريف اللحن لغة واصطلاحاً

1- التعريف اللغوي للحن: تعددت معاني كلمة اللحن في معاجم اللغة:

ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:

(لحن): اللام والحاء والنون له بناءان: يدل أحدهما على إمالة شيء من جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء.

فأما اللحن بسكون الحاء فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يُقال لحن لحناء، وهذا عندنا من الكلام المؤلّد، لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة.

ومن هذا الباب قولهم: هو طيب اللحن، وهو يقرأ بألحان، وذلك أنه إذا قرأ كذلك أزال الشيء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في ترتبه.

ومنه أيضاً اللحن: فحوى الكلام ومعناه، قال الله تعالى: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ" (محمد 31)، وهذا هو الكلام المؤرّى به، المزال عن جهة الاستقامة والظهور¹.

وذكر ابن منظور في لسان العرب:

(لحن): اللحن من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه اللحن ولحون، ولحن في قراءته إذا غرّد وطرب فيها بألحان، وفي الحديث: «اقرأوا القرآن بلحون العرب»²، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم غناء، واللحن واللحان واللحانية: ترك الصواب في القراءة والنشيد، ونحو ذلك.

والتلحين التخطئة، ولحن له يلحن لحناء، قال له قولاً يفهمه عنه ويخفي على غيره، لأنه يُميله بالتورية عن الواضح المفهوم، ومنه قولهم لحن الرجل فهو لحن إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره³.

من خلال النظر في هذين التعريفين، يمكن أن نخلص بأن للحن في اللغة ستة معانٍ وهي:

- 1- اللحن بمعنى الخطأ ومجانبة الصواب في العربية.
- 2- اللحن بمعنى تحسين الصوت والتغني والنشيد.
- 3- اللحن بمعنى فحوى الكلام ومعناه.
- 4- اللحن بمعنى التعريض والتورية في الكلام.
- 5- اللحن بمعنى الميل إلى الشيء أو عنه.
- 6- اللحن بمعنى الفطنة وسرعة الفهم.

والذي يعيننا من هذه المعاني في دراستنا هو الأول، أي " اللحن بمعنى: الخطأ ومجانبة الصواب في العربية "

2. التعريف الاصطلاحي للحن:

أجمع علماء القراءة على أن اللحن في الاصطلاح ينقسم إلى قسمين: لحن جليّ ولحن خفيّ، ثم عرفوا كلاّ منهما، وذكروا ما يميّز كل نوع عن الآخر، حيث إنك لا تكاد تجد تعريفاً اصطلاحياً عاماً للحن عند المتقدمين؛ إلا ما يمكن أن نستشفه من كلام الإمام ابن الجزري في النشر إذ قال: " والصحيح أن اللحن فيهما - يقصد نوعي اللحن - خلل يطرأ على الألفاظ فيُخلّ "4.

ومنه يمكن القول أن اللحن في الاصطلاح هو: " الإخلال والخطأ في تلاوة ألفاظ القرآن الكريم ".

وقد اختلف القراء في تعريف نوعي اللحن على أوجه، ومن أدق وأوجز التعاريف ما ذكره الإمام ابن مجاهد؛ إذ قال: " اللحن في القراءة لحنان: جليّ وخفيّ. فالجليّ: ترك الإعراب، والخفيّ: ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه "5.

ومع دقة تعريف الإمام ابن مجاهد إلا أن تعريفه للحن الجليّ يشوبه الإبهام في كلمة (الإعراب)، فإن قصد بها المعنى الاصطلاحي للإعراب بأنه: " اختلاف أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه "6، فهذا فيه نقص كبير؛ لأن اللحن الجليّ لا يقتصر على الإخلال بأواخر الكلم، بل قد يكون الإخلال في أول الكلم وأوسطه، أو بزيادة الحروف

ونقصانها.

وإن قصد به الإعراب لغةً بأنه: "الإبانة والإفصاح عن الشيء" ⁷، فهذا حسن، رغم أن فيه نوعاً من الاتساع.

وعليه يمكن وضع تعريف شامل لنوعي اللحن بالقول: "اللحن الجليّ هو الخطأ الظاهر في تلاوة ألفاظ القرآن المتعلق بالحروف والحركات، سواء أخلّ بالمعنى أم لم يخلّ به، واللحن الخفيّ هو الخطأ المخلّ بحسن القراءة وجمالها".

وبذلك يقسم اللحن الجليّ إلى قسمين:

أ- قسم فيه إخلال بالمعنى: كرفع التاء أو كسرهما في قوله تعالى: "أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" (الفاحة 07).

ب- قسم ليس فيه إخلال بالمعنى: كرفع الهاء أو نصبها في قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" (الفاحة 02).

تنبية: عدّ كثير من علماء التجويد الخطأ في الوقف والابتداء من قبيل اللحن الجلي، وهذا أمر حسن، لأنه قد يكون الخطأ في الوقف والابتداء أشدّ شناعة من الخطأ في الحروف والحركات، إذا ما أفسد المعنى، أو أوهم معنى غير مراد، وهذا ما سوف نجليه من خلال ثنايا هذا البحث.

ثانياً: تعريف الوقف وذكر أنواعه

الوقف فن جليل من فنون علم التجويد، ومعرفة أحكامه ضرورة هامة للصيانة من اللحن في التلاوة، وقد كان للسلف رضوان الله عليهم عناية بالغة به، قال ابن عمر رضي الله عنه: "لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدثنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأينا اليوم رجال يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده، وكل حرف منه ينادي: أنا رسول الله إليك لتعمل بي" ⁸.

وقال علي رضي الله عنه: "الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف" ⁹.

والوقف لغة: الإمساك عن الشيء، واللف والمنع، ويجمع على وقوف وأوقاف ¹⁰.

وفي الاصطلاح: قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمناً يُتنفس فيه عادة، مع قصد

الرجوع إلى القراءة، وقلنا زمنا يتنفس فيه عادة لإخراج السكت؛ وهو قطع الصوت برهة وحيزة أثناء القراءة من غير تنفس، وقلنا مع قصد الرجوع إلى القراءة لإخراج القطع؛ وهو قطع الصوت بنية الانصراف عن القراءة بالكلية¹¹.

واختلف أهل الفن في أقسام الوقف، فمنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام، ومنهم من قسمه إلى أربعة أقسام، ومنهم من قسمه إلى ستة أقسام، ومنهم من قسمه إلى ثمانية أقسام¹²، وخير هذه الأقوال وأشهرها، ما اختاره الإمام الداني، ووافقه عليه الإمام ابن الجزري، في أن أقسام الوقف أربعة: تامٌ مختار، كافٍ جائز، حسنٌ مفهوم، وقبيحٌ متروك¹³.

1- الوقف التام: وهو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده¹⁴.

2- الوقف الكافي: وهو الذي يحسن الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ¹⁵.

3- الوقف الحسن: وهو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه بما بعده من جهة اللفظ والمعنى جميعا¹⁶.

4- الوقف القبيح: وهو الذي لا يعرف المراد منه¹⁷، ولا يجوز تعمد الوقف عليه إذا غير المعنى أو نقضه¹⁸، وهو ما يعيننا في هذه الدراسة، كونه يُعدّ من باب الخطأ، ويجب على القارئ تركه وتجنبه.

وقبل أن نخوض في تفصيل ذلك حرّينا أن نبّه إلى أهمية الوقف في تحديد المعاني وإيضاحها.

المطلب الأول: أهمية الوقف في فهم معاني القرآن ومعرفة مقاصده

إن لمعرفة الوقف أهمية بالغة في فهم كلام الله تعالى، ومعرفة مراده، من: أمرٍ أو زجرٍ أو بيانٍ أو هدايةٍ... إلخ، فدون وقفٍ لا يمكن تمييز هذه المعاني، بل قد يختلط بعضها ببعض، كما أن للقرآن الكريم مقاصد جليّة وموضوعاتٍ عظيمة، من: توحيد وبعث ونبوّات وأحكام وأخلاق ونحوها، لا تتميز عن بعضها البعض إلا بالوقوف التامة، وفي تضاعيفها تكمن الوقوف الكافية والحسنة.

قال الإمام السخاوي: " وقد اختار العلماء وأئمة القراء تبين معاني كلام الله عز وجل وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منبها على المعنى، مفصّلا بعضه عن بعض، وبذلك تُلَدّ التلاوة، ويحصل الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية "19.

وروى الإمام الداني عن ميمون بن مهران أنه قال: " إني لأقشعر من قراءة أقوام، يرى أحدهم حتما عليه ألا يقصّر على العشر، إنما كانت القراء تقرأ القصص إن طالت أو قصرت، يقرأ أحدهم اليوم: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ " (البقرة 11)، ويقوم في الراحة الثانية فيقرأ: " أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ " (البقرة 12).

قال الإمام الداني معلقا: " فهذا يبيّن أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتجنبون القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض، ويتعلق آخره بأوله، لأن ميمون بن مهران إنما حكى ذلك عنهم، إذ هو من كبار التابعين، ولقد لقي جماعة منهم، فدل جميع ما ذكرناه على وجوب استعمال القطع على التمام، وتجنب القطع على القبيح، وحض على تعليم ذلك وعلى معرفته "20.

وقال ابن الطحان: " فيإحسان الوقف تبدّي للسامع فوائده الوافرة، ومعانيه الفائقة، وتتجلى للمنتجع²¹ مقاصده الباهرة، ومناحيه الرائعة "22.

وإبرازا لأهمية الوقف في إيضاح المعنى، ودفع الإبهام واللبس، يرى بعض أهل العلم - في حالة تنازع اللفظ والمعنى في وقف - تغليب المعنى دفعا للإبهام واللبس، ويطلقون على هذا النوع وقفَ البيان أو وقفَ التمييز، ويمثلون له بقوله تعالى: " لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " (الفتح 09)، فيوقف على (توقروه)، ويبتدأ بـ (تسبحوه)، لأن التسبيح لا يكون إلا لله عز وجل، فلو وصل لأوهم اشتراك الرسول فيه²³.

قد اتضح جليا من خلال هذه النصوص أهمية الوقف في تحديد معاني القرآن وتجليه مقاصده، وعليه فإنه مما لا شك فيه أن الإخلال بالوقوف، أو عدم مراعاتها، سيوقع القارئ في الخطأ واللعن، وهذا ما سنتناوله في المحور الآتي.

المطلب الثاني: الوقف القبيح

سبق وأن عرّفنا الوقف القبيح بأنه الوقف الذي لا يفهم المراد منه، لتعلقه اللفظي بما قبله، أو أنه يُفْضِي إلى معنى فاسدٍ أو مستقبح، وهذا لتعلقه المعنوي بما قبله، وعلى هذا يمكننا تقسيم الوقف القبيح إلى قسمين: ما يكون بسبب التعلق اللفظي، وما يكون بسبب التعلق المعنوي.

أولاً: الوقف القبيح بسبب التعلق اللفظي

لقد عدّد الإمام ابن الأنباري كل ما لا يوقف عليه بسبب تعلقه اللفظي بما بعده فقال: "أعلم أنه لا يتم الوقف على المضاف دون ما أُضيف إليه، ولا على المنعوت دون النعت، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على المرفوع دون الرافع، ولا على الناصب دون المنصوب، ولا على المنصوب دون الناصب، ولا على المؤكد دون التوكيد، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البديل دون مبدله، ولا إنَّ أو كان أو ظنَّ وأخواتها دون أسماؤها، ولا اسمها دون خبرها، ولا المستثنى منه دون الاستثناء، ولا الموصول دون صلته، ولا الفعل دون مصدره، ولا الحرف دون متعلقه، ولا شرط دون جزائه".²⁴

مثاله قوله تعالى: "وَمَثَّ كَلِمَتٌ رَبِّكَ الْحُسْنَى" (الأعراف 137)، الوقف على (كلمة) والابتداء بـ (ربك) قبيح، لأن فيه فصل للمضاف عن المضاف إليه، وقوله تعالى: "قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُثُهَا" (البقرة 69)، الوقف على (بقرة) والابتداء بـ (صفراء) قبيح، لأن فيه فصل للمنعوت عن نعته، ويقاس على هذا كل المتعلقات اللفظية السالفة الذكر.

ثانياً: الوقف القبيح بسبب التعلق المعنوي

وله عدة أوجه أهمها:

1- ما فيه فساد معنى يتعلق بقدسية الله تعالى أو عقيدة المؤمن:

وهو أفحج القبيح وأشدّه شناعة، ويكفر من تعمّده،²⁵ وله أوجه متعددة كذلك:

أ- الوقف الذي يوهم اتصاف الله عز وجل بما لا يليق به:

- قوله تعالى: "وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا" (الإسراء 94)، الوقف على (أبعث) والابتداء بـ (الله بشراً).

- قوله تعالى: "فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (البقرة 258)، الوقف

على (فَبَهَتْ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ).

بد الوقف على المنفي الذي يأتي بعده حرف الإيجاب (إلا):

ومثاله قوله تعالى: "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (آل عمران 06)، وقوله: "وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ" (المائدة 73)، فالوقف على لفظ الجلالة (إله) في المثالين يُعدّ نفياً للألوهية، وإنها كان المقصود نفى ما عُبد من غير الله عز وجل بالحصص الذي يأتي بعد (إلا).

ومثله قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 107)، فالوقف على (وما أرسلناك) يُفضي إلى نفى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

ج- فصل أقوال الكفار والمكذبين عن مقولها: ومن أمثلته:

- قوله تعالى: "لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ" (آل عمران 181)، الوقف على (قالوا) والابتداء بـ (إن الله فقير).

- قوله تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" (المائدة 72)، وقوله: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ" (المائدة 73)، الوقف على (قالوا) والابتداء بـ (إن الله هو المسيح)، أو (إن الله ثالث ثلاثة).

2- الوقف في الآيات التي فيها مقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين بما يوهم اشتراكهما في الجزاء: ومن أمثلة ذلك الوقف على:

- في قوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ" (9) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" (المائدة 9-10).

- وفي قوله تعالى: "لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ" (الرعد 18). فمثل هذه الوقوف وقوفٌ قبيحة، تفسد معنى كلام الله تعالى، وتؤدي إلى نقيض مراده، ففي كل هذه الآيات مقارنة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكفار، أو جزاء الطائعين وجزاء العصاة، وإذا ما وقف القارئ على مثل هذه الوقوف أوهم استواء الفريقين في الجزاء؛ إذ إن تمام المعنى يكمن في ذكر جزاء كل فريق، حتى تكتمل المقارنة، وتحصل الموعظة.

3- الوقف الذي يفضي إلى معنى مخالف لحكم الله تعالى وتشريعه: ومن أمثلته

- قوله تعالى: "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ" (الأنعام 36)، الوقف على (والموتى) يوهم أن الاستجابة تكون من الذين يسمعون والموتى، والموتى لا يسمعون ولا يستجيبون، وإنها أخبر تعالى عنهم أنهم يُبعثون.

- قوله تعالى: " وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ " (النساء 11)، الوقف على (ولأبويه) يوهم أحد حكمين: إما أخذ الأبوين النصف أيضا كالبنث، وإما اشتراك الأبوين والبنث في النصف، وكلا الحكمين باطل، لأن الحكم الشرعي الذي قررته الآية، أن للبنث نصف التركة بالوقف على (النصف)، أما حكم ميراث الأبوين فمستأنف بما ذكر بعد لفظ (ولأبويه).

4. الوقف على الأسماء التي تبين نوعيتها حقيقتها:

مثاله قوله تعالى: " فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ " (الماعون 4-5)، الوقف على قوله تعالى: " فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ " يوهم أن الله تعالى يتوعد المصلين بالويل، والمصلين اسم ممدوح محمود لا يليق به التوعد بالويل، وإنما خرج من جملة الممدوحين بنعته المتصل به، وهو قوله تعالى: " الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ " ²⁶. ومثله قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى " (النساء 43)، الوقف على قوله تعالى: " لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ " يوهم أن الله تعالى نهى المؤمنين عن تأدية الصلاة، والصلاة أعظم عبادة حث الله تعالى على تأديتها والمحافظة على أوقاتها، وإنما ورد النهي عن الصلاة بنعته المتصل بها، وهو قوله تعالى: " وَأَنْتُمْ سُكَارَى ".

ثالثا: الوقف على رؤوس الآي المتعلقة بما بعدها

سبق وأن قررنا بأن فصل الكلام المتعلق بعبءه ببعض تعلقا لفظيا أو معنويا يُعدّ من قبيل الوقف القبيح، لكن ما يطرح الإشكال أن يكون هذا الفصل برأس آية، وبين الآيتين تعلق كبير، كالوقف على قوله تعالى: " فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ " (الحجر 92)، والابتداء بـ " عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (الحجر 93)، والوقف على قوله تعالى: " كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ " (البقرة 219)، والابتداء بـ " فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " (البقرة 220)، بل قد يكون الوقف بين الآيتين مفسدا للمعنى مغيرا للمراد؛ كالوقف على قوله تعالى: " فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ " (الماعون 04)، والابتداء بـ " الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ " (الماعون 05)، والوقف على قوله تعالى: " أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهُمْ لَيَقُولُونَ " (الصافات 151)، والابتداء بـ " وَلَكَ اللَّهُ " (الصافات 152).

فقد أدى هذا الأمر إلى وقوع الخلاف بين أهل العلم في الوقوف على رؤوس الآي على

ثلاثة أقوال:

القول الأول: جواز الوقف على رؤوس الآي والابتداء بها بعدها مطلقا، سواء كان بين الآيتين تعلق لفظي أو معنوي أو لم يكن، بل حتى لو كان الوقف عليها أو الابتداء بها يؤدي إلى معنى فاسد، كالوقف على (فويل للمصلين)، أو الابتداء بـ (ولد الله).

وهذا المذهب هو أحب المذاهب إلى الإمام أبي عمرو البصري، واختاره أكثر أهل الأداء، والذين ينتحلون هذا المذهب يعتبرون الوقف على رؤوس الآي مطلقا سنة، يثاب القارئ على فعلها²⁷.

واستدل أصحاب هذا القول بحديث أم سلمة رضي الله عنها، لما سُئِلَتْ عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ يقطع قراءته آية آية، يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم يقف، ثم يقول الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، ثم يقول الرحمن الرحيم، ثم يقف"²⁸.

وفي رواية قالت: "قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، يقطع قراءته آية آية"²⁹. ووجه دلالة الحديث على هذا المذهب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على (العالمين)، وعلى (الرحيم)، ففصل بين الموصوف وصفاته، مع ما بينها من وثيق الصلة وشيخ الارتباط.

القول الثاني: جواز الوقف على رؤوس الآي إذا لم يكن هناك ارتباط لفظي أو معنوي، أو لم يكن في الوقف والابتداء إيهام بخلاف مراد كلام الله تعالى.

فإذا كان هناك ارتباط لفظي برأس الآية وما بعدها كقوله تعالى: "أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ" (المطففين 4-5)، أو كان الوقف على رأس الآية سليما لكن الابتداء يوهم معنى فاسد كقوله تعالى: "أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَكَ اللَّهُ" (الصافات 151-152)، فإنه يجوز للقارئ الوقف على رأس الآية عملا بالحديث واتباعا للسنة، لكنه يتعين عليه أن يرجع فيصل بين الآيتين مراعاة للتعلق اللفظي، أو دفعا لتوهم المعنى الفاسد.

وأما إذا كان الوقف على رأس الآية يوهم معنى فاسدا كالوقف على (فويل للمصلين)،

فلا يجوز الوقف حينئذ، بل يتعين الوصل، دفعا لتوهم المعنى الفاسد، ومسارعة إلى بيان المعنى المقصود³⁰.

القول الثالث: أن حكم الوقف على رؤوس الآي كحكمه على غيرها مما ليس برأس أي، فينظر إلى ما بعد رأس الآية من حيث التعلق اللفظي والمعني، أو فساد المعنى عند الوقف والابتداء، فإن كان هناك تعلق أو فساد معني فلا يجوز الوقف على رأس الآية، وإن لم يكن جاز الوقف.

فعلى هذا القول ليس ثمة فرق بين رأس الآية وغيره من حيث الوقف وعدمه، ولهذا وضع أصحاب هذا المذهب علامات الوقف المختلفة فوق رؤوس الآي، كما وضعوها فوق غيرها مما ليس برأس آية³¹.

وهذا القول هو اختيار الإمام نافع، الذي يراعي محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى، كما ورد النص عنه بذلك³².

والذي يرجح من هذه الأقوال - والله أعلم - هو القول الأول؛ بأن الوقف على رؤوس الآي سنة، لحديث أم سلمة رضي الله عنها في وصف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما في ذلك من فوائد أهمها:

1- مراعاة الفواصل القرآنية:

الفواصل القرآنية من أبرز مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وسموّ بلاغته وبيانه، لما لها من تأثير في أسماع المتلقين، وشدّ لانتباههم، وتحريك لقلوبهم، فمن السور من سارت على فاصلة واحدة من أولها إلى آخرها، كما هو الحال في سورة الأحزاب على طولها، ومن السور من تتغير فيها الفاصلة على قصرها، كسورة العاديات والقارعة، وهذا لغاية بلاغية عظيمة، فإذا لم يقف القارئ على رؤوس الآي مراعاة للمعنى، فقد يقصر في هذه الحكمة المقصودة في نظم كتاب الله تعالى.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "وأعلم أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسعاع، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع، فإن قوله تعالى: "إِذْ

الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ " (غافر 71)، آية، وقوله: " فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ " (غافر 72)، آية، وقوله: " ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ " (غافر 73)، آية، وقوله: " مِنْ دُونِ اللَّهِ " (غافر 74) إلى آخر الآيات، فقوله: (في الحميم) متصل بقوله (يُسحبون)، وقوله (من دون الله) متصل بقوله (تشركون)، وينبغي الوقف عند كل آية منها³³.

2- مراعاة نفس القارئ والتيسير عليه:

والتيسير مقصد أصيل من مقاصد الشريعة، وأينما حلّ العسر والمشقة جاء التشريع بالتيسير ورفع الحرج، فلو ألزمتنا القارئ بالوقوف على كمال المعنى دون رؤوس الآي، لكان في الأمر مشقة على نفس القارئ في العديد من المواضع القرآنية مثل قوله تعالى: " هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " (البقرة 2-4)، فكلها أوصاف للمتقين، والكلام مرتبط ببعضه.

وفي الوقف على رؤوس الآي مطلقا توسعة وراحة للتالي، تغنيه عن وصل الآية الطويلة المتعلق بعضها ببعض، وتغنيه على أن يقف على الكلمة ثم يعيدها، حتى يصل إلى الوقف التام أو الكافي فيقف عنده³⁴.

وهذا المذهب هو اختيار كثير من أئمة الأداء كأبي عمرو الداني وابن الجزري وغيرهم. قال الإمام الداني: " ومما ينبغي له أن يقطع عليه رؤوس الآي؛ لأنهن في أنفسهن مقاطع، وأكثر ما يوجد التام فيهن، لاقتضائهن تمام الجمل، واستيفاء أكثرهن انقضاء القصص، وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن، وإن تعلق كلام بعضهن ببعض، لما ذكرنا من كونهن مقاطع، وكسُنَ بمشبهات لما كان من الكلام التام في أنفسهن دون نهايتهن "³⁵.

ويستثنى من هذا الوقف على قوله تعالى: " فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ " (الماعون 04)، وهذا لظهور وبيان قبح المعنى وشناعته، كما أنها آية قصيرة لا تكلف القارئ نفسا طويلا إذا ما وُصلت بما بعدها.

فإذا ما جمعنا بين استحباب الوقف على رؤوس الآي - مع الخلاف الجاري فيه - وقبح

المعنى عند هذا الوقف، يرجح قبح المعنى، فالأولى اجتنابه، وقد نبه أغلب أئمة الأداء على قبح هذا الوقف، مع ترجيحهم تصريحاً أو تلميحاً إلى سنية الوقوف على رؤوس الآي. وإنما قلنا بترجيح مذهب الوقوف على رؤوس الآي لأنه الأسلم؛ لاعتماده على مواضع الآيات، التي أجمع أهل العلم على وقفيتها، بخلاف لو استندنا في تحديد الوقف على المعنى فقط، فإن الأفهام تختلف من عالم لآخر، وإدراك المعاني متفاوت بين مفسر وآخر، ما يؤدي إلى وقوع الخلاف بين أهل العلم في تحديد الوقوف.

كما أن ترك تحديد الوقوف للمعاني، جعل بعض أهل العلم يضعون وقوفاً لازمة، ويحذرون من وقوف قبيحة حسب رأيهم، وهي ليست بذلك، بل لا تعدو أن تكون مجرد وهم أو تصور بعيد المرامي لا أكثر، وقد علق ابن الجزري على كثير من الوقوف التي وضعها الإمام السجاوندي بأنها توهم فقال: "قول أئمة الوقف: لا يوقف على كذا معناه أن لا يُبتدأ بما بعده، إذ كل ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده، وقد أكثر السجاوندي من هذا القسم وبالغ في كتابة (لا)، والمعنى عنده لا تقف، وكثير منه يجوز الابتداء بما بعده، وأكثره يجوز الوقف عليه، وقد توهم من لا معرفة له من مقلدي السجاوندي أن منعه من الوقف على ذلك يقتضي أن الوقف عليه قبيح، أي لا يحسن الوقف عليه، ولا الابتداء بما بعده، وليس كذلك" ³⁶.

بل إن فتح باب تحديد الوقف استناداً للمعاني على مصراعيه دفع بالبعض إلى تعسف وقوف مجانبة للصواب، سعيًا منهم إلى إثبات بعض المعاني الخفية، أو دفعا لبعض المعاني الخاطئة في نظرهم، وهذا ما سنعرفه في الفقرة الموالية.

رابعاً: الوقف التعسفي

قال ابن الجزري: "ليس كل ما يتعسف به بعض المعربين، أو يتكلفه بعض القراء، أو يتأوله بعض أهل الأهواء، مما يقتضي وقفاً وابتداءً ينبغي أن يُتعمد الوقف عليه، بل ينبغي تحري المعنى الأتم، والوقف الأوجه" ³⁷.

وسنقدم بعض الأمثلة على هذه الوقوف:

- 1- قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 6)، يقف على (أم لم تنذر)، ويتبدئ بـ (هم لا يؤمنون)، على أنها جملة من مبتدأ وخبر، قال

الإمام الأشموني: " وهذا ينبغي أن يُردّ ولا يُلتفت إليه "38.

2- قوله تعالى: " فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا " (النساء 62)، يقف على (يحلِفون)، ويتبدى بـ (بالله إن أردنا)، ومثله قوله تعالى: " قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ " (الأعراف 133)، يقف على (ربك)، ثم يتبدى بـ (بما عهد عندك)، وقوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (لقمان 13)، يقف على (لا تشرك)، ثم يتبدى بـ (بالله إن الشرك لظلم عظيم)، وفي كل هذه الأمثلة يجعل الباء حرف قسم، وذلك خطأ، لأن باء القسم لا يُحذف معها الفعل، بل متى ما ذكرت الباء تعيّن الإتيان بالفعل كقوله تعالى: " وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ " (النحل 38)، ولا تجد الباء مع حذف الفعل39.

3- قوله تعالى: " وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ " (القصص 68)، يقف على (يشاء)، ويتبدى بـ (ويختار ما كان لهم الخيرة)، على أن (ما) موصلة وليست نافية. فهذه بعض الأمثلة عن وقوف فيها من التعسف والتكلف ما لا يخفى، ولا فائدة تُرجى من ورائها، بل إن بعضها لا يعدو أن يكون عبثا بكلام الله تعالى، وتلاعبا بمعاني القرآن، واتباعا للأهواء لا أكثر، فليتبته القارئ لمثل هذه الوقوف، وليكن منها على حذر.

المطلب الثالث: وقفة مع الوقف الهبطي

تعتمد غالب مصاحف المغاربة برواية ورش عن طريق الأزرق الوقف الهبطي، وقد ثار جدل واسع بين العلماء حول هذا الوقف، خاصة ما انفرد به الإمام وخالف فيه من سبقه من أئمة هذا الفن، وما زاد الجدل حدة أن الإمام لم يترك مؤلفا يبيّن فيه اختياراته ويعلّل فيه وقوفه، ما جعله وقوفه عرضة للتحليل والتأويل.

والوقف الهبطي هو الوقف الذي يُنسب إلى الإمام أبي جمعة الهبطي40، والذي لم يكتب مؤلفا في الوقوف التي اختارها، ليبين فيها وجه ما اختاره وعلّله، وقد تُسبب إلى الإمام الهبطي كتاب (تقييد وقف القرآن)، كما ذهب إليه صاحب شجرة النور الزكية، إلا أن الراجح من الأقوال ما ذكره كثير من المحققين أن هذا الكتاب من جمع طلبته، لا من تأليفه، فالشيخ كان جُلّ اشتغاله بالتعليم، ما جعله لا يهتم بالتأليف، ولا يُعنى بأيّ من العلوم الأخرى، فقد اعتنى الإمام ببيان الوقوف عمليا، فنقلها عنه تلاميذه وأشاعوها.

وقد وضع الإمام الهبطي وقوفه لما انتشر في زمانه من لحن في التلاوة، وخطأ في الأداء على ألسنة الناس، فكانوا يقفون على ما لا ينبغي الوقف عليه، ويصلون ما لا يجوز وصله، فيفسد بذلك المعنى ويتغير المراد.

وبنى الإمام الهبطي مذهبه في الوقف على مراعاة الإعراب والمعنى في الوقف والابتداء، وربما كان بعضه خاضعاً لنكت في التفسير، والبعض الآخر لمدارك في الفقه والتشريع، أو لوجه من وجوه القراءات، أو لأسرارٍ وحكمٍ أخرى قد لا يدركها القارئ العادي، وإنما يعقلها العاملون المختصون في هذا الفن⁴¹.

وأهل العلم في الوقف الهبطي على ثلاثة أقسام: قسمٌ مؤيّدٌ مغالٍ، وقسمٌ منتقدٌ مُفرطٌ، وقسمٌ معتدلٌ منصفٌ.

القسم الأول: مؤيّدٌ مغالٍ

ارتبط الوقف الهبطي في الشمال الإفريقي بقراءة الإمام نافع وبمذهب الإمام مالك، ما جعل كثيراً من المتعصّبين لمذهب مالك أو لقراءة نافع، يغالون في الوقف الهبطي، ويعدّونه الصواب دون غيره، ويردّون كل انتقاد أو تعقيب عليه.

بل ذهب بعض من كانت تكتنفه مسحة صوفية إلى أن الوقف الهبطي إنما تلقاه الإمام أبي جمعة عن ربه عز وجل، برؤية رآها في منامه، بل قيل: "أن القرآن نزل بهذه الوقوف، وأن الهبطي رأى وقوفه في اللوح المحفوظ، ومنه أخذها"⁴².

وقيل كذلك: "ولو شئت لقلّت إن ما فعله الهبطي بجمع الناس على وقوف محددة، يكاد يشبه ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه حين جاءه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه محذراً من اختلاف الناس في القرآن، فجمعهم على مصحف واحد، نسخ منه نسخاً، وفرّقها على الأمصار"⁴³.

القسم الثاني: منتقدٌ مُفرطٌ

على النقيض من القسم الأول فهناك من أفرط في انتقاد الإمام الهبطي، وشنّع عليه في النكير، ورماه بالجهل باللغة العربية والتفسير، كما ذهب إليه صاحب منحة الرؤوف المعطي حين قال: "وصرحوا - يعني أئمة القراءة - بأنه لا يقوم بالوقف إلا عالم بالنحو والقراءات والتفسير والقصص، لكن الشيخ الهبطي الذي عمل الوقف، لم يقرأ هذه النصوص، ولم يكن يعرف علم العربية، ولا شيئاً مما اشترطه لصحة الوقف، بل أقدم على عملية الوقف

بحسب ما ظهر له، من غير مراعاة للقواعد، فكان كثير من وقوفه من قبيل الممنوع⁴⁴. ومنهم من اتهم الإمام بأنه وضع وقوفه مراعاة لأصحاب الحزب الراتب والقراءة الجماعية، ليوحد تلاوتهم فلا تختلط عليهم، مستندين إلى أن يوسف بن عبد المؤمن الموحد⁴⁵ قد أمر - رغم كراهة مالك لقراءة القرآن جماعة - بتأسيس قراءة الحزب في المساجد، ومُنعت قراءته بغير تجويد، وتيسيرا لذلك قام العلامة محمد بن أبي جمعة الهبطي بوصف طريقة لوقف القرآن لم تكن معروفة في المشرق⁴⁶.

القسم الثالث : معتدل منصف

وقسم ثالث وهم أكثر أهل العلم أنصفوا الإمام حقه، واعتبروه من أئمة النحو والتفسير والقراءات، إلا أن هذا لم يمنهم من انتقاده والإيراد عليه في بعض الوقوف التي خالف فيها من سبقه من أهل الفن والأداء. والذي يظهر - والعلم لله - أن هذا القول هو الصواب في الحكم على الوقوف الهبطي، من عدة أوجه:

1- ما من عمل بشريٍّ إلا ويعتريه النقص والتقصير، فالكمال لله وحده، ولو كان الكمال في أعمال البشر لأغلق باب العلم والاجتهاد في مهده، فهذا ديدن العلماء، يستدرك بعضهم على بعض، وينتقد بعضهم بعضا، وليس ذلك إلا خدمة للعلم ورغبة في الفضل، وكما أنتقد الإمام الهبطي في بعض اختياراته للوقف، فقد أنتقد غيره كذلك، ولا يُنقص ذلك من شأنه، ولا شأن غيره.

2- إن أغلب وقوف الإمام الهبطي مرضية موافقة لوقوف من سبقه، فكان يقف على رؤوس الآي، ويقف على المعاني السليمة في الآيات الطويلة بما يوافق قواعد اللغة والقراءة، ولم يُستشكل من وقوفه إلا بعضها، لما يظهر فيها من مخالفة لأحكام القراءة وقواعد العربية.

3- إن اتهام الإمام بالجهل باللغة العربية وعلم التفسير والقراءة تجنُّ كبير على الشيخ، واتهام باطل، وهذا بالرجوع إلى كل من ترجم له، فقد أجمعوا أنه كان من علماء اللغة والنحو والقراءة، بل إن الناظر في أعمال من اجتهد في إيجاد توجيهات صحيحة لما أنتقد من وقوف الهبطي يدرك مما لا يدع مجال للشك أن الإمام كان من بحور اللغة وأوعية النحو، واختار بعض الأوجه اللغوية في وقوفه، لا يتفطن لها إلا الحدّاق من علماء اللغة.

4- إن انتقاد الإمام بأنه وضع هذه الوقوف مراعاة للقراءة الجماعية والحزب الراتب

فحسب، دون مراعاة لقواعد أو ضوابط، مردود على صاحبه، فعلم الإمام وزهده يحول بينه وبين أن يعتدي على كتاب الله، ويضع فيه وقوفاً غير علم، كما أنه بالرجوع إلى وقوف الإمام في بعض الآيات الطوال، يفند زعم مراعاته لنفس أصحاب القراءة الجماعية، وتوحيد تلاوتهم فحسب، فانظر إلى قوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضَرِّيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (البقرة 164)، فيستحيل على أكثر الناس طولاً في النفس أن يقرأ هذه الآية بنفس واحد، فما بالك بجماعة.

وإذا ما سلّمنا بأن هذا الأمر كان حقيقة من دوافع الإمام الهبطي لوضع وقوفه، لما انتشر من قراءة جماعية في المساجد في وقته، ولا زالت إلى الآن بالمغرب العربي، فإن ذلك لم يكن بمعزل عن علم التفسير وقواعد اللغة.

ومع تبرئنا لساحة الإمام مما اتهم به، وإنصافه حقه وقدره، فلا يمنع هذا من انتقاده في بعض الوقوف التي جنح فيها إلى التعمية، واقتناص المعاني البعيدة، باتباع الإعراب الخفي والتقدير البعيد، وهذا ينافي الغاية التي وُضِعَ وقوفه لأجلها، وهي التيسير على العامة، بوضع وقوف تحفظ لهم معاني القرآن، وتصونهم من اللحن فيه.

وسنورد بعض الوقوف التي انتقدت على الشيخ ومنها:

1- قوله تعالى: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (البقرة 53)، وقف الإمام الهبطي على (الكتاب)، ففصل بين المتعاطفين بلا ضرورة.

2- قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا" (النساء 92)، الوقف على (خطأ) كما هو في مصحف حفص وقالون، وزاد الإمام الهبطي الوقف على (مؤمناً)، ففصل بين المستثنى والمستثنى منه بدون داع.

3- قوله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَفَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ" (النساء 90)، الوقف على (قومهم) كما هو في مصحف قالون وحفص، وجملة حصرت حال، فهو تتممة الجملة ومحل فائدتها، وقف الإمام

المهبطي على (جاؤوكم)، ففرّق بين جزئي الجملة وضبيّع فائدتها.

الخاتمة:

نخلص في ختام هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- 1- للحن في اللغة معان عدة، أشهرها الخطأ في العربية والصوت الحسن، أما في اصطلاح علماء التجويد فهو الخطأ والإخلال في تلاوة ألفاظ القرآن الكريم.
- 2- اتفق علماء التجويد على تقسيم اللحن إلى قسمين: جليّ وخفيّ، فاللحن الجليّ هو الخطأ الظاهر في تلاوة ألفاظ القرآن المتعلق بالحروف والحركات، سواء أخلّ بالمعنى أم لم يخلّ به، واللحن الخفيّ هو الخطأ المخلّ بحسن القراءة وجمالها.
- 3- علم الوقف علم جليل، له أهمية كبيرة في فهم مراد الله تعالى من كلامه، كما أن الإخلال به يوقع في الخطأ واللحن، الذي قد يصل إلى درجة الجليّ إذا ما أدى إلى إفساد المعنى.
- 4- يُعرّف الوقف لغة بأنه: الإمساك عن الشيء، واصطلاحاً بأنه: قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمناً يُتنفس فيه عادة، مع قصد الرجوع إلى القراءة.
- 5- يُقسّم الوقف على أرجح الأقوال إلى أربعة أقسام: تامّ مختار، كافٍ جائز، حسنٌ مفهوم، وقبيحٌ متروك.
- 6- يُعنى موضوع اللحن بالنوع الأخير؛ أي الوقف القبيح، لأنه يُعدّ من باب الخطأ، ويجب على القارئ تركه وتجنبه، لما فيه من إبهام للمعنى، أو إعطاء معنى فاسدٍ أو ناقصٍ.
- 7- يمكن تقسيم الوقف القبيح إلى قسمين:
 - أ- ما لا يُفهم المراد منه لتعلقه اللفظي بما قبله: كالفصل بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره.
 - ب- ما يُفضي إلى معنى فاسدٍ أو مستقبحٍ لتعلقه المعنوي بما قبله: وأشنع ما مس بقدسيّة الله عز وجل وصفاته، أو أخلّ بعقيدة المؤمن.
- 8- تعتمد جلّ مصاحف الشمال الإفريقي على الوقف المهبطي، المنسوب إلى الإمام أبي

جمعة الهبطي الفاسي، وقد ثار جدل كبير بين العلماء حول هذا الوقف، وانقسموا في ذلك إلى ثلاث أقسام: قسمٌ مؤيِّدٌ مغالٍ: تعصب للوقف الهبطي ونفى غيره، وقسمٌ منتقدٌ مُفرطٌ: أبطل الوقف الهبطي، ورمى إمامه بجهل العربية والتفسير، وقسمٌ معتدلٌ منصفٌ: وهو خير الأقوال، أنصف الإمام حقه، فاعتبره من أئمة النحو والتفسير والقراءات، إلا أن هذا لم يمنعه من انتقاده والإيراد عليه في بعض الوقوف التي خالف فيها من سبقه من أهل الفن، وعمد فيها إلى التعمية، واختيار بعض الأوجه الغريبة في العربية.

الهوامش:

- 1 : معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، س.ن: 1399هـ، ج5/ص239.
- 2 : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في ترك التعمق في القرآن، حديث رقم (2624)، وسنده ضعيف جدا، قال الذهبي حديث منكر.
- 3 : لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج13/ص379.
- 4 : النشر في القراءات العشر، أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج1/ص211.
- 5 : التحديد في الإتيان والتجويد، أبو عمرو الداني، دار عمار، عمان، الأردن، ط1: 1421هـ/2000م، ص118.
- 6 : شرح الآجرومية، محمد بن صالح العثيمين، دار البصيرة، الإسكندرية، مصر، د.ط، س.ن: 2003م، ص49.
- 7 : لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج4/2865.
- 8 : أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الإيمان، حديث رقم (101)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه.
- 9 : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد الأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1393هـ/1973م، ص05.

- 10 : ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج 9/ص359، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ج6/ص135.
- 11 : ينظر: معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، محمود خليل الحصري، مكتبة السنة، مصر، ط 1، 1432 هـ/ 2002 م، ص 182-183.
- 12 : ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، مصر، ط 1، 1427 هـ/ 2006 م، ج 1/ص222-225.
- 13 : المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، الأردن، ط 1، 1422 هـ/ 2001 م، ج 1/ص7، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، مصدر سابق، ص165.
- 14 : إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر بن الأنباري، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، س.ن: 1390 هـ / 1971 م، ج 1/ص149.
- 15 : المكتفى في الوقف والابتداء، الداني، مصدر سابق، ص10.
- 16 : إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر الأنباري، مصدر سابق، ج 1/ص150.
- 17 : المكتفى في الوقف والابتداء، الداني، مصدر سابق، ص 13.
- 18 : التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، ج 1/ص175.
- 19 : جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، ت: عبد الحق عبد الدايم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1419 هـ / 1999 م، ج 2/ص554.
- 20 : المكتفى في الوقف والابتداء، الداني، مصدر سابق، ص 05.
- 21 : المنتجع: من انتجعه، يطلب خيره، قال ابن فارس: " النون والجيم والعين أصل صحيح، يدل على منفعة طعام أو دواء في الجسم، ثم يُتوسّع فيه، فيقاس عليه ". (معجم مقاييس اللغة ج5/ص395).
- 22 : إبراز المعاني بالأداء القرآني، إبراهيم الدوسري، دار الحضارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، د.ط، س.ن: 1433 هـ، ص 114.
- 23 : جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، مصدر سابق، ج 2/ص567.
- 24 : إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر بن الأنباري، مصدر سابق، ج 1/ص117.
- 25 : ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء، الداني، مصدر سابق، ص 14.

- 26 : المكتفى في الوقف والابتداء، الداني، مصدر سابق، ص 15.
- 27 : ينظر: معالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء، الحصري، مرجع سابق، ص 50.
- 28 : أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (2910)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطهما من حديث أبي هريرة.
- 29 : أخرجه أبو داود في سننه، حديث رقم (4001)، قال الأرناؤوط: رجاله ثقات، وذكر أن هذا الحديث صح عند أبي خزيمة والدارقطني والحاكم.
- 30 : ينظر: معالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء، الحصري، مرجع سابق، ص 51-52.
- 31 : المرجع نفسه، ص 53، بتصرف.
- 32 : النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، مصدر سابق، ج 1/ص 238.
- 33 : التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، س.ن: 1984 م، المقدمة الثامنة، ج 1/ص 76.
- 34 : ينظر: منهجية أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، ابن حنفية العابدين، دار الإمام مالك، الجزائر، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 30.
- 35 : المكتفى في الوقف والابتداء، الداني، مصدر سابق، ص 11.
- 36 : النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، مصدر سابق، ج 1/ص 234.
- 37 : المصدر نفسه، ج 1/ص 231.
- 38 : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، الأشموني، مصدر سابق، ج 1/ص 18.
- 39 : ينظر: المصدر نفسه، ج 1/ص 19.
- 40 : أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي، نسبة إلى هباطة أحد قرى سبابة بالمغرب، الإمام العالم المتصوف الزاهد القدوة التقى العابد، أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله العواني، والعلوم عن الشيخ أحمد رزوق، والشيخ الخروبي الكبير الطرابلسي، وعنه جماعة منهم عبد الواحد الونشريسي، توفي في ذي القعدة سنة 930 هـ. (ينظر: شجرة النور الزكية لمحمد بن سالم مخلوف، ج 1/ص 400).
- 41 : القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، دار المغرب الإسلامي، ط 1، 1410 هـ / 1990 م، ص 182.

- 42 : منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي، أبو عبد الله الغماري، دار الطباعة الحديثة، المغرب، د.ط، ص 05.
- 43 : الوقف الهبطي ابتداء أم اتباع، عبد الحكيم دبابش، موقع شبكة القراءات القرآنية، تاريخ التصفح: 2015/10/10، ص 02.
- 44 : منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي، أبو عبد الله الغماري، مرجع سابق، ص 04.
- 45 : يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي، أمير المؤمنين، من ملوك دولة الموحدين بمراكش، وهو الثالث فيهم. مولده في تينملل، بويغ له بعد وفاة أبيه وكان شجاعا عارفا بسياسة رعيته، له علم بالفقه، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة، مات سنة 580 هـ. (ينظر: الأعلام للزركلي، ج8/ص241).
- 46 : معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب، عبد العزيز بن عبد الله، مطبعة فضالة، المغرب، د.ط، س.ن: 1972 م، ص 05.

The solecism of Quran reciting at waqf and its effect on changing the quranic meanings

mohammed salah SETTI,

Faculty of Law and Political Science - University of Laghouat

Dr abderrahmane MAACHI

Faculty of Law and Political Science - University of Laghouat



Abstract:

The solecism of Quran reciting is known as the breach and error in the recitation of the words of the Holy Quran. It is divided into two parts: clear and hidden, whereas the waqf is the cutting of the sound on the qur'anic verse when it is usually breathed, with the intent to return reading.

The scholars of Tajweed have considered the error in the waqf as a clear reciting solecism, if it leads to the ambiguity of the meaning of the words of Allah or its corruption, and this is what is termed as the ugly pause (stoppage at reciting), which is divided into two parts:

1 - What is not understood to be related to the verbal attachment to what preceded it: as the separation between the verb and its subject and the subject and its predicate.

2 - Which leads to the corrupt or repulsive meaning of moral attachment to what preceded it: the most terrible thing is that it does not affect the sanctity of God, or it violates the believer's belief.

Key words: The solecism, waqf, recitation, Quran, clear, hidden.